البراغماتية والكارزماتية في شخصية ياسر عرفات

" دراسة في النخبة والقيادة "

د. أيمن طلال يوسف*

الملخص

تنبع أهمية هذا البحث من كونة دراسة علمية، موضوعية ومحايدة تتناول شخصية محورية وهامة في التاريخ الفلسطيني المعاصر. ياسر عرفات، الإنسان أولا والقائد ثانيا يمثل فعلا المحطات التاريخية الهامة للشعب الفلسطيني ولنضاله الوطني خاصة في آخر خمسين عاما. هذه الفترة شهدت تطورات وأحداث متعاقبة على مختلف الأصعدة والجبهات المحلية والإقليمية والدولية. فياسر عرفات عايش البدايات الأولى للنضال الوطني الفلسطيني بدءا بتأسيس الإتحاد العام لطلبة فلسطين في الخمسينات من القرن العشرين، مرورا بانطلاقة الثورة الفلسطينية في العام 1965 وانتهاء بتوقيع اتفاقيات السلام مع الإسرائيليين في العام1993.

إن المرحلية في حياة ياسر عرفات مهمة حيث مارس في مرحلة ما العمل لفدائي المسلح، ثم التجأ في مرحلة أخرى إلى العمل السياسي والدبلوماسي الهادف. هذا هو بالطبع سر البراجماتية والفكر الواقعي الذي تحلى به ياسر عرفات خلال مسيرته النضالية والسياسي.

سيتضمن البحث الحالي استعراض لكل الأدبيات والدراسات النظرية والمفاهيمية التي اختصت بقضية النخبة والقيادة وأنماط القيادات المختلفة وموقع شخصية ياسر عرفات في هذه الأنماط النخبوية والقيادية. دراسة النخبة نظريا يكاد يكون ضروري وحاسم لإضفاء صفة العقلانية والموضوعية على أي عمل بحثي وأكاديمي وبما أن أغلب الدراسات التي تعنى بالنخبة قد صيغت في السياقات الغربية، لذلك ستعمل هذه الدراسة على فهم وتحليل النخبوية في السياقين العربي والفلسطيني.

تعتبر دراسات موسكا، باريتو، مشلز والمفكرين الماركسيين من أوائل من درس النخبة والنخبوية ودورها في صناعة القائد وصانع القرار.

ABSTRACT

The importance of this research springs from being a scientific، objective nd neutral attempt dealing with pivotal personality in the contemporary Palestinian history. Yasser Arafat as a human being first and as a leader second، represents in actual sense the crucial historical platforms through which the Palestinian people passed in the last fifty years or so.

This period saw many fast emerging developments and events at all fronts:

national، regional and global. Yasser Arafat witnessed the early beginnings of the Palestinian national movement that crystallized in practical terms with launching the Palestinian revolution in 1965 and ended with signing a peace deal with Israel in 1993. Understanding Yasser Arafat means truly covering and

* كلية العلوم والآداب – الجامعة العربية الأمريكية – جنين – فلسطين .

analyzing various stages that Yasser Arafat passed through; from armed struggle in the 1970;s to the revolutionary diplomatic moves after 1982.

This research relies on reviewing some of the theoretical and conceptual studies and literature that tackle the issue of elitism and leadership and then find out the place of Yasser Arafat at this leaders ladder. Studying elitism theoretically is necessary and decisive for any rational scholarly academic work. Since all the literature available was formulated in the Western context، this research will make serious attempt to locate the basic features of elites in the Arab and the Palestinian contexts. Mosca، Pareto، Mischles and the Marxist thinkers were the Pioneers who produced well-defined theoretical formula for elites and elitism. They also pointed out to the role played by elites in making political leaders and decision-makers.

مقدمة:

احتل ياسر عرفات مكانا مميزا في مسيرة النضال الوطني الفلسطيني لفترة امتدت إلى أكثر من نصف قرن من الزمان. ورغم أن ياسر عرفات عاش حياة القائد الثوري والسياسي المنتقل من مكان إلى آخر، حاملا معه هماً وطنيا كبيرا، ورغم أنه كان قائدا بلا دولة وبلا وطن، مع هذا يجد المراقب أو المتتبع لمسيرة هذا الرجل يشعر أنه رئيس دولة سيادية بسبب تنقله وترحاله في العواصم العربية والعالمية، وبسبب الشعبية الهائلة والهالة العظيمة التي تمتع بها ليس فقط بين أوساط الفلسطينيين والعرب وإنما امتدت جاذبيته الثورية إلى مكانة عالمية مرموقة. يقول شفيق الحوت، كان هناك شعور يراود بعض الحكام والزعامات العربية من أن ياسر عرفات يشاركها جزءًا هاماً من سيادتهم على شعوبهم ونفوذهم داخل بلدانهم، لأن ياسر عرفات بقي مترفعاً على قطرية فلسطينية ضيقة، وظل دائما رمزاً قومياً عربياً من الطراز الأول، همه رفعة العرب كأمة وكوطن. (1)

لم يكن ياسر عرفات ثوريا فلسطينيا وقائدا عربيا فقط، بل اكتسب سمعة دولية، كونه جزءاً هاماً من تاريخ حركة التحرر العالمية المناهضة للإمبريالية والاستعمار في القرن العشرين. فاسم ياسر عرفات أضيف إلى قائمة الأسماء العالمية المميزة التي اشتغلت في تحريك شعوبها وقيادة ثوراتها ضد المحتل والمستعمر. فالفلسطينيون تحت قيادة ياسر عرفات صنفوا في خانة الشعوب الثائرة المتعطشة إلى الحرية، مثلهم مثل الجزائريين والفيتناميين وشعوب جنوب إفريقيا وأمريكا اللاتينية. حتى أن إبراهيم أبو لغد ذهب إلى حد القول، إن النظرة الدونية والعدائية التي تمتاز بها السياسات الأمريكية المتتالية اتجاه الفلسطينيين والقضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية، مردها بالدرجة الأولى إلى انتساب ياسر عرفات إلى مدرسة ثورية راديكالية يقودها جمال عبد الناصر في مصر ومحمد مصدق في إيران. وقد أدى انتساب الفلسطينيين إلى الشعب العربي والى الإسلام إلى حد ما إلى ظهور تحيزات أمريكية دينية وثقافية ضدهم ونظرة اتسمت دائما بالسلبية اتجاههم. (2)

عالمية ياسر عرفات تنبع من نجاحه المنقطع النظير في ربط حركة النضال الوطني الفلسطيني بحركات التحرير والمقاومة لشعوب العالم الثالث التي بدأت تثور وتتمرد على مضطهديها وقامعيها في مرحلة ما بعد الاستعمار.فغدا ياسر عرفات مع مرور الزمن ليس فقط قائداً فلسطينياً وقومياً عربياً، وإنما أيضا زعيماً عالمياً يسعى بقوة لضمان تمتع شعوب العالم الثالث الفقير بحق تقرير المصير ومقاومة الاستعمار والإمبريالية. وبهذا ارتبط اسم ياسر عرفات مع أسماء عالمية لامعة، أمثال أنديرا غاندي في الهند وجمال عبد الناصر في مصر ومارشال تيتو في يوغسلافيا ونيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا وماوتسيتونغ في الصين ونكروما في غانا، وغيرهم الكثير الكثير، الذين طالبوا بضرورة تغيير نظرة الغرب الدونية للشرق وبناء نظام عالمي سياسي واقتصادي جديد يمتاز أولاً وأخيراً بالمساواة والعدالة والسلام والخير للجميع.إن ارتباط الفلسطينيين تحت زعامة ياسر عرفات مع شعوب العالم الثالث، خاصة في الفترة التي أعقبت تقسيم فلسطين، وما شهدته الساحة الفلسطينية لاحقاً من تهجير وتشريد لمئات الآلاف من الفلسطينيين، وما تبعه من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، قد أثار حفيظة الولايات المتحدة والغرب عموما. في هذا السياق يقول إبراهيم أبو لغد إن الولايات المتحدة الأمريكية شخصت الفلسطينيين كجزء هام من جمهور العالم الثالث المعادي لمصالحها والمناهض لزبائنها وحلفائها وأصدقائها في العالم وعلى رأسهم إسرائيل. (3)

إن الحديث عن ياسر عرفات أو الكتابة في بعض جوانب شخصيته السياسية والنضالية والإنسانية يعني التطرق إلى المراحل الهامة والمفاصل النضالية والتاريخية الرئيسية للشعب الفلسطيني في آخر نصف قرن.هناك قناعة لدى أغلبية الفلسطينيين أن ياسر عرفات، الرجل الذي اعتمر الكوفية، كان أفضل سفير للنضال الوطني الفلسطيني بكافة أشكاله وصوره، بما في ذلك النضال العسكري والمقاومة المسلحة التي غلبت على حركة النضال الوطني الفلسطيني منذ منتصف الستينات حتى السنوات الأولى من العقد الثامن من القرن العشرين. وقد استفادت المقاومة الفلسطينية في هذه الفترة بالاستقطاب الأيدلوجي والنظام العالمي ثنائي القطبية، الذي ساد خلال فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، حيث وجد ياسر عرفات فرصة ثمينة ليستغل هذا النظام الدولي وتوزيع القوة فيه، ليقوي ويمتن علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالاتحاد السوفيتي والصين الشعبية وكافة دول المنظومة الاشتراكية. هذه بدورها لم تبخل لتقديم كافة أشكال الدعم المادي والمعنوي والسياسي للشعب الفلسطيني في تلك المرحلة الهامة والحاسمة من نضاله السياسي لدحر الاحتلال وانتزاع حقوقه، وبناء دولته السيادية والمحافظة على كينونته الثقافية والحضارية والاجتماعية. استفاد ياسر عرفات أيضا من علاقاته

الواسعة ومصداقيته العالية لدى العديد من المنظمات الدولية والإقليمية لتثبيت دعائم الحقوق الوطنية الفلسطينية وتثبيت اسم فلسطين عاليا في المحافل الدولية. (4)

في هذا الإطار، نسجت منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات أواصر علاقات متينة مع حركة عدم الانحياز والتي تأسست في العام 1955 بعد مؤتمر باوندونغ في اندونيسيا بمبادرة من اندونيسيا ومصر والهند ويوغسلافيا وغانا. في بداية السبعينات وفي مرحلة نضوج الفكر السياسي الفلسطيني وتخمر التجربة النضالية الفلسطينية، بنى ياسر عرفات على الإرث والمصداقية للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وهو احد المؤسسين لحركة عدم الانحياز التي اعترفت رسميا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، ومهدت بذلك الطريق أمام المنظمة للحصول على اعتراف رسمي من أكثر من ثلثي دول العالم. وبعد اعتراف الجامعة العربية ومنظمة الدول الإسلامية وحركة عدم الانحياز، عمل ياسر عرفات لوضع القضية الفلسطينية على منصة الأمم المتحدة، قناعة منه من أن الأمم المتحدة لعبت دوراً كبيراً في تأسيس دولة إسرائيل من خلال قرار التقسيم الذي صدر في العام 1947، لذلك يقع على الأمم المتحدة واجب أخلاقي وإنساني في معالجة الظلم التاريخي الذي وقع على الشعب الفلسطيني بسبب هذا القرار. (5)

ظهرت البراجماتية والواقعية والقراءة الصحيحة للتحولات في النظام الدولي جلية في الفكر السياسي لياسر عرفات منذ السنوات الأولى لعقد السبعينات من القرن العشرين، حيث بدأ يقتنع تدريجياً أن العمل الفدائي المسلح لن يكون بمقدوره دحر الاحتلال وتحرير الأرض الفلسطينية بدون أي دعم سياسي ودبلوماسي. لذلك بدأت الممثليات والقنصليات الفلسطينية تنتشر في مناطق عديدة من العالم لكسب التأييد السياسي للقضية الفلسطينية ولشرح وجهة النظر الفلسطينية لهذه الدول، خاصة في مرحلة العمل الفدائي والعمليات العسكرية والتي كانت تنعت في بعض وسائل الإعلام على أنها عمل إرهابي. في هذا السياق، تخرج العشرات من القيادات السياسية الفلسطينية من رحم الاتحادات الشعبية والنقابات ومنها الاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي تأسس في القاهرة في العام 1959. (6)

امتاز أسلوب ياسر عرفات القيادي بخاصية ضمان تحصيل النتائج بنسبة مئة بالمائة، فهو معني بضرورة تحصيل التأييد الكامل له ولسياساته ولأسلوبه في صناعة القرار واتخاذه في داخل حركة فتح وفي مداولات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي والوطني. كما أن عرفات اظهر اهتماما خاصا بالمنظمات والاتحادات الشعبية والنقابات المنضوية داخل منظمة التحرير الفلسطينية. في هذا الصدد كانت تجربة ياسر عرفات كجزء من الحركة الطلابية الفلسطينية التي بدأت تبلور كينونة فلسطينية وأهداف واضحة في بداية الخمسينات من القرن العشرين خاصة في أوساط الطلبة

الفلسطينيين الدارسين في مصر[7]. يرى عماد غياظة أن رابطة الطلبة الفلسطينيين في مصر كان لها دور هام في توفير الكوادر والتجربة السياسية والنقابية لحركة فتح، وقد كانت هذه الرابطة بمثابة الجنين البكر لأول تجربه كيانية فلسطينية علنية جسدها ياسر عرفات وصلاح خلف وأحمد الشقيري، أملاً منهم في أن تتوسع هذه التجربة النقابية الفلسطينية لتتحول مع الوقت إلى حركة سياسية فلسطينية مستقلة، تهتم بقضايا الشعب الفلسطيني المأساوية وتتحكم باتخاذ القرارات المصيرية المحورية نيابة عنه. [8]

شكلت تجربة رابطة الطلبة الفلسطينية في القاهرة نموذجا تم الاقتداء به في مراكز التعليم الأخرى خاصة في مصر وسوريا ولبنان وغيرها من الأماكن التي تواجد فيها الطلبة الفلسطينيون، وهذه الروابط لم تشكل الإطار الطلابي فقط، بل شكلت لحركة فتح ، على وجه الخصوص ، نواة حقيقية لإنشاء تنظيمها وتمتينه بعد أن توسع عمل هذه الروابط الطلابية وانتهى بتدشين وتأسيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين في العام 1959. وقد كان الاتحاد أول مؤسسة فلسطينية علنية تضم فلسطينيين منتشرين في بلدان عربية متعددة بالتحديد في دول الطوق العربي المحاذية لفلسطين، وكان تأسيس الاتحاد بمثابة انتصار فلسطيني معنوي من الدرجة الأولى على ظروف الشتات والتهجير والتمزق السكاني والاجتماعي التي عانى منها الفلسطينيون في فترة ما بعد النكبة. [9]

قاد ياسر عرفات معركة بيروت بعد الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف العام 1982، حيث صمدت قوات الثورة الفلسطينية لأكثر من 90 يوما رغم الفوارق الهائلة في الإعداد والاستعداد العسكري بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، فإسرائيل المسلحة بأحدث الأسلحة والتقنيات العسكرية فشلت في حسم معركة بيروت عسكرياً ؛ لأن أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر لم يكن قد تدرب لمواجهة معركة من نوع جديد، معركة الكر والفر وحرب العصابات طويلة الأمد، التي تستهدف بالدرجة الأولى استنزاف العدو اقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً، دون إعطائه فرصة كاملة للتفرد بالمقاومة في مواجهه تقليدية.

بعد خروج قوات المقاومة الفلسطينية من لبنان، بموجب مبادرة فيليب حبيب، مبعوث الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في نهاية صيف 1982، لم يتأخر ياسر عرفات من توسيع الأفق السياسي في منظمة التحرير، حيث بدأت المنظمة بفتح قنوات اتصال عديدة مع دول العالم المؤيدة للقضية الفلسطينية. أعاد ياسر عرفات صياغة علاقات المنظمة مع الدول العربية خاصة المعتدلة منها، بما فيها مصر والأردن، وبدأت سلسلة حوارات بينه وبين الملك حسين انتهت بتوقيع الاتفاق الأردني – الفلسطيني والذي ينظر إليه العديد من المراقبين والمحللين السياسيين على أنه خطوة هامة قام بها ياسر عرفات للخروج من عنق الزجاجة، خاصة بعد خسارة المنظمة لقواعدها

العسكرية في دول الطوق بما فيها الأردن ولبنان، في أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان. كما أن هذا الاتفاق هيأ لياسر عرفات فرصة الظهور أمام العالم على أنه رجل الحرب والسلام معاً وأنه يمتلك القدرة للدخول في حوارات براغماتية قد تؤدي في النهاية إلى حلول سياسية. (10)

بعد منتصف الثمانينات من القرن الماضي، وصل ياسر عرفات إلى نتيجة مفادها أن العمل السياسي السلمي لا يكفي في معركة الفلسطينيين لإقامة حقوقهم في الدولة والاستقلال والعودة؛ لذلك لجأت منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات إلى العمل المقاوِم ذي الطابع الشعبي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، فكانت انتفاضة العام 1987، انتفاضة الحجر والمظاهرات الشعبية، حيث كانت عفوية وسلمية ساهمت في إخراج الفلسطينيين إلى الشوارع مطالبين بالحرية والاستقلال. وقد استفادت المنظمة من هذا الحدث حينما أعلن ياسر عرفات في 1988/11/15 قيام الدولة الفلسطينية على التراب الفلسطيني وعاصمتها القدس. وفي نفس العام، ألقى ياسر عرفات خطاباً مشهوراً أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث اعتُرِفَ بحق إسرائيل بالوجود وفي نفس الخطاب أدان ياسر عرفات الإرهاب بكافة أشكاله، واعترف بقرار 242 وأطلق مبادرة فلسطينية، تضمن حق جميع دول الشرق الأوسط بما فيها إسرائيل وفلسطين العيش بسلام. (11)

لم يتردد ياسر عرفات البراجماتي من اللجوء إلى كافة الطرق والأساليب للوصول إلى الحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني، في هذا السياق قامت منظمة التحرير بإجراء مفاوضات سرية مع الإسرائيليين بُعيد مؤتمر مدريد وقبيلَ اتفاقية اوسلو، و قد أفضى هذا الأمر في العام 1993 إلى اتفاقية اوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير. وقع ياسر عرفات إعلان المبادئ مع إسحق رابين في حديقة البيت الأبيض برعاية أمريكية، وقد تمخّض عن هذا الاتفاق إقامة أول كيان فلسطيني على الأرض الفلسطينية. رسخت اتفاقيات اوسلو نمطاً جديداً من المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي حيث حلت الاتفاقيات الثنائية بدلاً من القرارات الدولية. ولعل هذا التراجع يعود بالدرجة الأولى إلى الظروف الدولية والإقليمية التي سادت في تلك الفترة ، خاصة في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي كصديق دائم للفلسطينيين وهزيمة العراق في موقعة الكويت، مما ترك انعكاسات وأصداء سلبية على النظام الإقليمي العربي وعلى وحدة العرب. (12)

التأصيل النظري للنخبة:

قبل تحليل وتشخيص أهمية الدور الذي تلعبه النخبة السياسية والقيادات الوطنية في عملية صنع السياسة على المستويات الداخلية والخارجية، لا بد أولاً للباحث والمتتبع العقلاني أن يقوم بتحديد معنى النخبة، طبيعتها وسماتها. من هم النخبة؟ ومن هم الشخوص والأفراد المتوقع أن يكونوا أعضاء فاعلين في نخبة معينة؟ كيف تتم عملية تدوير النخبة وتبادل الأدوار؟ كيف تتفاعل داخل النخبة صراعات أو منافسات نخبوية لحماية المصالح والاحتفاظ بالأدوار في سبيل الوصول

إلى السلطة؟ هناك عدة اتجاهات نظرية سلوكية اهتمت بموضوع النخب ودورها في المجتمعات التي تعيش فيها. طبعاً، هذه الاتجاهات تأخذ بعين الاعتبار علاقات القوة،توزيع الأدوار، الأرضيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي خرجت من رحمها هذه النخب. لكن هناك شبه إجماع بين علماء الاجتماع والمتخصصين في النظم السياسية، أن دراسة النخب ينصب بالدرجة الأولى على علاقات القوة والنفوذ والسيطرة وأنها تتطلب معرفة طبيعة المساومات والمفاوضات التي تجري عادةً بين هذه النخب لاقتسام كعكة السلطة وحمايـــة المصالح الشخصية. (13)

الوقوف على بعض المدارس النظرية التي اهتمت بموضوع النخب يساعد كثيراً في الإجابة عن هذه التساؤلات الافتراضية. فضح المنهج الماركسي العلاقة المصالحية بين الطبقة البرجوازية المالكة لرأس المال والطبقة السياسية الحاكمة، والتي تدير شؤون الدولة. لهذا لم يُخف ماركس نظرته التشاؤمية للدولة حيث اعتبرها أداة ظلم واستغلال تستخدمها الطبقة المالكة لرأس المال لإدامة علاقات طبقية استغلالية ولإبقاء سيطرتها على طبقة البروليتاريا العمالية. فالدولة في التحليل الماركسي، أداة طُفيليَّة يجب التخلص منها في مرحلة المشاع النهائي، من أجل خلق مجتمع عادل تختفي فيه الفوارق الطبقية والاقتصادية. مع هذا كانت النظرة الماركسية تعطي الدولة هامشاً أو مساحة مناورة من خلال ما أسمته بدكتاتورية البروليتاريا التي يجب أن تَبني الدولة والأجهزة مرحليا من أجل تحقيق هدفين اثنين: التخلص من آثار النظام الرأسمالي الاستغلالي وإعداد المجتمع الإنساني لمرحلة المشاع النهائي.(14)

رغم الصياغات النظرية الجيدة والجدليات الحتمية التي طغت على الأفكار الماركسية، إلا أن المتتبع المهتم بهذا الموضوع يجد صعوبة في إسقاط هذا الإطار النظري على الواقع الفلسطيني، وعلى توضيح ظروف نشأة النخب السياسية الفلسطينية. ورغم القناعة أن العديد من هذه النخب قد استفادت فعلاً من علاقات طبقية واضحة، ولها تاريخ في تكديس الثروة والسيطرة على الأراضي والعلاقات الإقطاعية التي سادت في فترة الحكم العثماني، إلا أن النخب الفلسطينية (السياسية والاقتصادية والثقافية والأكاديمية ورموز المجتمع المدني) قد راكمت مجموعة من الأسباب والعوامل لصعود سلم النخبوية منها، التعليم العلماني العالي (حنان عشراوي، مصطفى البرغوثي، إياد السراج) أو بسبب تاريخ نضالها الطويل (مروان البرغوثي) أو بسبب المكانة الاجتماعية والعائلية الرفيعة (أمين الحسيني، فيصل الحسيني). أمام هذه الوضعية والخصوصية الفلسطينية يقف التحليل الماركسي الطبقي عاجزاً أو غير قادر على توضيح العوامل الحقيقية التي وقفت فعلاً وراء ظهور نخب سياسية جديدة استفادت من عوامل متعددة كالتعليم والكاريزما والمكانة الاجتماعية والمؤسسة الدينية.

البراغماتية والكاريزماتية في شخصية ياسر عرفات...

المدرسة الكلاسيكية (موسكا، باريتو، ميشلز) عَزَتْ ظهور النخب إلى صفات موروثة وأخرى مكتسبة: كالذكاء والدهاء والحنكة والأسلوب القيادي الكرِزْماتي، أما المدرسة الحديثة فارتأت النظر إلى النخب في سياقات وظروف محلية وإقليمية ودولية، تنبع تحت ظروف ميدانية وموضوعية معينة في مجالات وحقول متنوعة تشمل السياسة والاقتصاد والأكاديميا والمؤسسات الدينية والعسكرية.

المنهج النخبوي، ممثلاً بمفكري المدرسة الكلاسيكية، عالج طبيعة العلاقات الإنسانية التي تسود المجتمع عامة، بحيث قام بتقسيم المجتمع إلى شريحتين أو فئتين رئيسيتين: الحكام والمحكومين أو من يتخذون القرارات المصيرية الهامة، وأولئك الذين لا دخل لهم لا من قريب ولا من بعيد بالتطورات الهامة والأحداث التي تعسف بحياتهم، بحيث لا يكون بمقدورهم فعل شيء حقيقي أو جذري لتغير مسار المجتمع أو حتى تغيير مسار حياتهم وظروفهم الخاصة. فالحكام هم أقلية تستأثر بالقوة السياسية، وتتخذ القرارات النهائية الهامة التي تؤثر على حياة الأفراد والجماعات ومستقبل الدولة. فهم يشكلون مجموعة متحدة متماسكة، واعية وتمتلك قنوات القوة والسلطة، بفعل عوامل عائلية وتحكمهم بالموارد وتجييرهم القيم الدينية لصالحهم، وبفعل مهارات معينة والمستوى التعليمي العالي التي وصلوا إليه، أما المحكومون فيمثلون أغلبية لا تشارك ولا تؤثر في عملية صنع القرار وعليها السمع والطاعة. (15)

بحث موسكا في وضع النخبة (elite position) وعلاقات السلطة فيما بينهم power relations وخرج بنتيجة مفادها أن النخبة تمتلك قدرة التأثير بسبب ثروتها ومكانتها الدينية. لكن الفضل الأول من قوة وسيطرة النخبة يعود إلى ما لديها من قدرات تنظيمية كبيرة، ويرى موسكا أن صغر حجم الصفوة أو النخبة وبساطة وسائل الاتصال المتوفرة لديها يمنحانها هذه القدرة التنظيمية العالية. (16) يعتقد باريتو أن النخب الفاعلة ليست نتاج عوامل تنظيمية وقدرات إدارية تمارسها الصفوة داخل المؤسسات التي تديرها، وإنما بسبب قدراتها وميزاتها النفسانية وصفاتها الإنسانية، وقدرتها العالية من حيث استخدام أساليب التأمل والتفكير والتخطيط والإقناع للمحافظة على وضعية معينة في المجتمع، مِثْلْ : ميلها للإبقاء على الوضع الراهن وإدامة حالة الاستقرار ؛ لأن أي تغيير يمكن أن يفقدها منزلتها الرفيعة وامتيازاتها المصالحية. ما يميز الأفكار التي طرحها باريتو أنه قَسَّمَ النخبة إلى قسمين: الأولى، نخبة حاكمة تلعب دوراً سياسياً مباشراً في عملية الحكم، والثانية نخبة غير حاكمة وتضم في العادة أشخاصاً مرموقين في ميادين مختلفة ليس لها صلة مباشرة في العمل السياسي، والنشاطات السياسية. أي أن نشاطهم ليس له أي تأثير ملموس على العملية السياسية الجارية وينطبق ذلك على نجوم الكرة والفن والنخب الأكاديمية ورجال الأعمال والمال. (17)

يلتقي عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز مع بعض الماركسيين في فهم تكوين النخبة في ضوء البنى الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وفي ضوء التقسيم الطبقي وليس في ضوء المهارات التنظيمية والخصائص النفسية التي تمتلكها النخبة. في نظر ميلز، تُمارس القوة من خلال السيطرة على أدوات الإنتاج، وهي بدورها مرتبطة بمجموعة من المؤسسات العسكرية والشركات الكبرى والسلطة التنفيذية وأجهزة الأمن والاستخبارات ومجموعات اللوبي وجماعات الضغط. طبعا عكست دراسة ميلز المجتمع السياسي الأمريكي ومدى تعقيد عملية اتخاذ القرار السياسي الأمريكي في السياسة الخارجية. تماسك النخبة حسب رأي ميلز يعتمد أساساً على مدى قوة العلاقة والصلة بين المؤسسات؛ لأن التقارب والتفاهمات العميقة الضمنية وغير الضمنية، تصبح مع مرور الوقت، ضرورية لوجود نخبة فاعلة على مستوى الصعيد القومي. يبلغ التقارب ذروته حيثما يحدث تبديل أو تدوير أو إحلال في المراكز العليا للمؤسسات السياسية الهامة. ففي المجتمع الأمريكي يكون رؤساء ومدراء الشركات الكبرى بين شاغلي المناصب الحكومية الهامة.[18] ، بناء على ما سبق، يمكن تحديد ثلاثة أساليب للتعرف على النخبة:

1. أسلوب المناصب العامة في المجتمع والوظائف الحكومية العليا في المستويات التنفيذية والتشريعية والقضائية.
2. أسلوب صناعة القرار خاصة فيما يتعلق بالقضايا الهامة والجوهرية في المجتمع ويقع ضمن هذه الدائرة الموظفين الحكوميين من الدرجة الثانية والثالثة وزعامات الأحزاب والمنظمات الغير حكومية ومنظمات المجتمع الأهلي.
3. أسلوب الشهرة وهو الأكثر استخداماً في دراسات الصفوة.

أما العلاقة بين النخبة والجماهير فتقوم على التأثير المتبادل للطرفين على بعضهما البعض؛ لأن العلاقة بين القادة والتابعين ذات جانبين، فالنخبة تقبض على زمام الأمور وتوجه الجماهير نحو تحقيق الأهداف العامة إما من خلال الإرغام coercion أو كسب الشرعية legitimacy (احترام التقاليد السائدة، الكاريزما، الالتزام بالمبادئ القانونية والأداء الفعال)، أما ميكانزمات تأثير الجماهير على الصفوة فتتمثل في الانتخابات ومظاهر الاحتجاجات وأحياناً اللجوء إلى العنف في الشوارع.في كتابه المعنون (الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية) يطرح جوزيف شميتر تصوراً عاما للديمقراطية يبرز الدور الحيوي والمركزي للقيادة السياسية في توجيه المجتمع ، أما المواطن العادي فيقوم دوره على قبول أو رفض القيادات السياسية. في رأي شميتر أن عامة الناس ليس لهم الحق في النيل من حرية المسئولين في مزاولة السلطة بعد أن مارس عامة الناس حقهم في انتخاب القيادة السياسية. [19]

النخبة السياسية في السياق العربي:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الأدبيات، بما في ذلك من كتب ودوريات ومجلات ومواقع إنترنت، بحيث وضعتها في السياق المناسب، وأجرت عليها مراجعة نقدية شاملة، وقد استفادت هذه الدراسة من تنويع المصادر المعرفية المختلفة التي تناولت موضوع النخب السياسية والوطنية في السياقين العربي والفلسطيني، بحيث رفدتها بمعلومات ومعطيات هامة وكافية، ساعدت في تشكيل الدراسة ومكنت الباحث من الوصول إلى استنتاجات وملاحظات نهائية.

في هذا الإطار، وفي صدد تقديمه لكتاب **النخب والسلطة في المشرق العربي المعاصر**، يبرز محمد مراد مجموعة من الملاحظات حول دراسة النخب والسلطة في بلاد الشام، أهمها: إن المدرسة الماركسية (التقليدية والجديدة) ظلت تمثل مرجعية منهجية للعديد من الدراسات التي اهتمت بقضايا الحراك الاجتماعي وبروز النخب السياسية في المشرق العربي وعملية وصول هذه النخب إلى مراكز التنفيذ وصنع القرار السياسي[20] بقي تأثير الماركسية بارزا في الدراسات العربية ذات الطابع التنموي والاقتصادي والاجتماعي، بالذات محور النخب السياسية والاقتصادية، على الرغم من زيادة الاعتقاد والوعي بأن تلك النظرية قد صيغت في سياق المجتمع الأوروبي، خاصة في مرحلة انتقاله من مجتمع ريفي إقطاعي إلى مجتمع رأسمالي، يعتمد على الصناعة وإنتاج السلع والخدمات القائمة أساساً على مراكمة الربح. هنا يكمن عيب أو قلة جدوى استيراد المنهج الماركسي والارتكاز عليه في الدراسات الأكاديمية العربية ؛ لأن ذلك المنهج يشدد بالدرجة الأولى على النسق الاقتصادي والمحددات المادية في تحديد وتحليل التراتيبية الاجتماعية، وفي تشكيل الطبقات وانتظام نسق العلاقات فيما بينهما[21].

لذلك ظهرت وجهة نظر أخرى رأت أن سلطة العلاقات في الوطن العربي وطبيعة وضعية النخبة الآمرة الناهية، تتحدد بعوامل أخرى غير المحددات الاقتصادية.بعض الدارسين والخبراء المهتمين بموضوع المجتمع العربي وعلاقات القوة التي تسود بين طبقاته وفئاته الاجتماعية، يعتقد أن النفوذ السياسي والقدرات الشخصانية والأصل المرابطي والتعليم الحديث يفوق الثروة والمال في تأثيرها على البنية الاجتماعية. [22]

يؤكد هذه الحقيقة حليم بركات في دراساته وملاحظاته الهامة حول المجتمع العربي، إذ يركز على أهمية النسب والأصل والولاء القبلي والعشائري في تحديد التراتيبية الاجتماعية. وهو يرى أن الطبقة في المجتمع العربي لا تتحدد بعنصر واحد مسيطر، وإنما تتحدد بمجموعة من العناصر المتداخلة، منها موقع الأفراد والأسرة في الطبقة الاجتماعية/لاقتصادية، انعدام المساواة في ملكية الأرض ورأس المال ووسائل الإنتاج. وبالتالي يجزم بركات أن الشرف الاجتماعي

والمكانة الاجتماعية الرفيعة وعلاقات الوجاهة تبقى من المحددات الأساسية في التشكيل الهيراركي في المجتمع العربي.[23]

في السياق العربي، درست مايسة الجمل النظام السياسي المصري من خلال التطرق إلى الرموز والنخب الوزارية منذ 1952 حتى نهاية فترة السادات. كان هناك تركيز خاص على عملية تجنيد النخبة وصناعة القرار وتوزيع السلطة بين مختلف الأجهزة المدنية والعسكرية في مصر. خلصت الباحثة إلى الاستنتاج أن عملية صنع القرار في مصر تخضع مباشرة للرئيس، وان النخبة الوزارية المصرية هي تنفيذية تشكلت مع مرور الزمن على شكل كيان بيروقراطي إداري يُعْنَى بتنفيذ السياسات فقط. كما خلصت إلى أنه لا يوجد تغيير جذري أو جوهري على ملامح النخبة الوزارية في مصر، وإنما هناك عملية تدوير النخبة أو إحلالها بشكل أو بآخر، وقد لعبت المؤسسة العسكرية دورا في صناعة القرار السياسي المصري لخدمة رموز النظام السياسي. [24]

محمد عابد الجابري ميز بين نمطين من النخب السياسية: أولها القيادات النخبوية التي قادت العمل الوطني وطالبت بالتحرر والاستقلال خلال فترة الاستعمار الأوروبي، وقد خرجت هذه النخبة من رحم الأرستقراطية المدينية التقليدية. وقد احتكت هذه النخب بالغرب وساهمت في توعية الشعب من خلال نشر التعليم الحديث، وكان عندها قناعات بضرورة الاستفادة من التجربة السياسية الغربية، خاصة النظام السياسي الديمقراطي والعمل الحزبي والتعددية الثقافية. وقد آمنت بالآليات والوسائل السلمية في التحرر والحرية بعيدا عن العنف بمظاهره المختلفة.

النمط الثاني من النخب السياسية العربية يقع على النقيض من النمط الأول؛ لأنه يرجع في أصوله المكانية والاجتماعية والاقتصادية إلى الأرياف والبادية، بدل المدينة، وقد ظهرت هذه النخبة في مرحلة الاستعمار الأوروبي للوطن العربي وآمنت بضرورة الانتقال بالنضال الوطني من مجرد العمل السياسي السلمي المدني والحزبي إلى المواجهة والصدامات والكفاح المسلح. وقد آمنت هذه النخبة في فترة ما بعد الاستعمار بأهمية تغيير الأنظمة السياسية العربية التي نصَّبَها الاستعمار بالعمل الثوري الراديكالي والانقلابات العسكرية. بعد الاستقلال، تنهمك النخبة الحاكمة، بعسكرييها ومدنييها، في منافسة النخبة التقليدية على مواقعها ومراكزها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، محاولة انتزاعها وتحييرها لصالحها، مستخدمة في ذلك كل الوسائل القسرية والدعاية الإعلامية والشعارات الأيديولوجية الثورية. كما أنها تحاول تعميم الوعي الاجتماعي الطبقي والفوارق العائلية والاختلافات المناطقية. [25]

النخبة في السياق الفلسطيني:

على الصعيد الفلسطيني، تُعتَبَرْ دراسة جميل هلال الواقعة تحت عنوان: تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، من الدراسات

الشاملة التي تناولت بالعرض والتحليل طبيعة وخصائص النخبة الفلسطينية وعملية تشكيلها. هناك تركيز خاص في دراسة هلال على النخب الوطنية السياسية والاقتصادية والنسوية في فترة ما بعد العام 1967، حيث يورد أمثلة مختلفة من واقع الضفة الغربية وقطاع غزة خلال فترة الاحتلال. وقد اعتمد الكاتب على أسلوب المقابلات الشخصية مع العديد من القيادات الوطنية الفاعلة على الساحة الفلسطينية، السلطوية منها وغير السلطوية [26]

أما حسن خضر في دراسته القصيرة والمعمقة، **خصوصية نشوء وتكوين النخبة الفلسطينية** التي اعتمد في منهجية كتابتها على ما أسماه الكاتب سوسيولوجيا المعرفة، أو كما تفهم بطريقة ماكس فيبر بحيث أن الأفكار في النهاية تعكس مصالح طبقية مرنه وأحيانا تدخل الأيدولوجيا لتعبر عن مصالح أصحاب النفوذ وصناع القرار.اقتصرت الدراسة إلى التعرض إلى تحديد مفاهيم ومصطلحات معرفية ضرورية كالنخبة وكيفية تشكيلها في الإطار الفلسطيني. عندما يستعرض حسن خضر ما أسماه بخصوصية نشوء وأسباب وتكوين النخبة الفلسطينية، فهو حقيقة يقصد الأحداث التاريخية والظروف القاسية التي مر بها الشعب الفلسطيني وقياداته في آخر خمسة عقود، وقد لعب العامل الخارجي دوراً سلبياً اقتلاعياً لأن فكرة الحركة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل قد سببا كارثة إنسانية للشعب الفلسطيني بحيث تم اقتلاع مئات الآلاف من الفلسطينيين وتشريدهم خارج المدن الفلسطينية الساحلية كحيفا ويافا وعكا. إن حرب العام 1948 مثلت خسارة كبيرة للفلسطينيين عموماً ولقيادتهم وزعاماتهم الوطنية والسياسية خصوصاً ؛ لأن المدن الساحلية حسبما يرى خضر مثلت المصنع الاجتماعي والحاضنة الطبيعية للطبقة الوسطى والتي كانت دائماً قادرة على توليد الأفكار والحركات السياسية والثقافية، منتجة للإعلام الحر والصحف الوطنية، ورحماً حنوناً لتفريخ القيادات السياسية والنخب الوطنية. [27]

برنارد سابيلا في دراسته المعنونة تحت "**الاتجاهات السياسية والنخب الجديدة في فلسطين**" يبين أن مصطلح النخبة أو الصفوة يحمل في طياتها تصنيف الناس بناء على هيكلية المواقع الوظيفية "Structure of Positions" التي يحتلونها ويمارسون من خلالها سلطة ونفوذاً، سواء أكان في المجالات السياسية، الاقتصادية، المهنية، العسكرية، أو الأكاديمية. في السياق الفلسطيني، يعتقد سابيلا أن العوامل التاريخية والحضارية الهامة التي ساهمت في ظهور النخب السياسية الفلسطينية كانت دينية وتراثية بالدرجة الأولى، خاصة أن الشعب الفلسطيني يعتنق الإسلام بأغلبيته. فبروز الزعامات التاريخية الدينية كصلاح الدين الأيوبي وعز الدين القسام قد ساهم فعلا في إكساب هذه الشخصيات الدينية مكانة مرموقة في سجل النخب الفلسطينية.

وفي استعراضه التاريخي لطبيعة وخصائص النخب السياسية الفلسطينية، يرى سابيلا أن حرب العام 1948 قد أضعفت الأساس العائلي والأرضية العشائرية للنخب القيادية الفلسطينية بعدما

فشلت فشلا مزريا في حماية فلسطين الموحدة من الاستيطان اليهودي، وأثبتت عدم القدرة في منع قيام دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية.

ومع نشوب حرب عام 1967، وظهور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني، وكقائد لحركته الوطنية، تراجع المد العائلي للنخب أكثر وانحسر دور العامل العائلي كمحدد رئيسي للقيادات السياسية داخل الحركة الوطنية الفلسطينية. بدل ذلك، ظهرت الأيديولوجيات الثورية والأطروحات الوطنية التحريرية كأساس شرعي للنخب الجديدة والتي اتخذت من وطنيتها مقياساً جديداً لمكانتها في المجتمع والامتيازات النخبوية التي تتمتع بها. (28)

اتفاقية أوسلو دشنت مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة لأن منظمة التحرير الفلسطينية قد بدأت تتحول من حركة مقاومة وتحرير وطني إلى بناء حكومي مؤسساتي. لذلك لجأت السلطة الوطنية إلى استراتيجية جديدة من خلال ربط مصالح النخب السلطوية مع النخب المحلية في الداخل خاصة نخب العائلات والعشائر الكبيرة والمؤثرة.

لقد أثبتت انتخابات العام 1996 أن العائلية ما زالت جذورها ممدودة في العمق الفلسطيني، بحيث تم استغلالها من النخب السلطوية الجديدة. هذه العلاقة بين نخب السلطة القادمة من خارج الوطن والنخب المحلية، تضمنت توزيع المصالح والأدوار والمناصب بشكل يضمن إدامة علاقات من السيطرة على المجتمع الفلسطيني وتجمعاته السكانية التي تعاني أصلا من التفتيت والكنتنة بفعل الاستيطان والطرق الالتفافية والانفصال الجغرافي بين الضفة الغربية وغزة. (29)

في كتابهما الواقع تحت عنوان "**الفلسطينيون الجدد ... الجيل الناشئ من القادة**" يستعرض جون وجانيت والاش السيرة الذاتية الوطنية للعديد من الوجوه السياسية الفلسطينية الناشئة، خاصة في مرحلة ما بعد أوسلو وما بعد التسوية. ما يميز هذا الكتاب صفة التنوع لاحتوائه على أسماء العديد من القادة والنخب الجديدة التي ظهرت على المسرح السياسي الفلسطيني.

فبعضها ارتبط تاريخيا مع الفكر الفتحاوي والمسار الرئيسي داخل منظمة التحرير الفلسطينية (حنان عشراوي، فيصل الحسيني، سري نسيبه، ورضوان أبو عياش)، وبعضها الآخر بقي متشبثا باطروحاته اليسارية المعدلة (زهيره كمال، غسان الخطيب، ورياض المالكي) إضافة إلى بعض الوجوه الإسلامية (عبد العزيز الرنتيسي).

ربما هذا الاستعراض التنوعي قد أضفى صفة الحياد والموضوعية على هذا الكتاب، إضافة الى غنى المعلومات التي جمعت عن هذه الشخصيات القيادية الهامة. ما يفهم من هذا الكتاب بأنه يقدم للباحث معطيات كافية للتنبؤ بمستقبل السياسة في فلسطين، وأن هذه الشخصيات سيكون لها كلمة Say وتأثير Impact على الساحة السياسية الفلسطينية مستقبلا، خاصة في مرحلة

الدولة والبناء المؤسساتي. مع هذا يمكن القول إن نقطة ضعف الكتاب تنصب حول غياب إطار نظري واضح ومتكامل يمكن أن يسقط على هذه الحالات العينية. فالنظرية مهمة، كما هي الفرضية، لأن كليهما يعكس مستوى الفهم العقلاني لطبيعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الأسرية التي مرت بها هذه القيادات، وساهمت في النهاية في خلقها وصقل قدراتها مما أهلها في النهاية للوصول إلى صف القادة الجدد أو النخب الفاعلة. (30)

زعامة ياسر عرفات :

من الصعوبة بمكان وضع ياسر عرفات في سياق نظري مناسب كون أغلب الأطروحات النظرية التي عالجت موضوع النخبة والقيادة قد نمت وترعرعت في سياقات وبيئات غربية. مع هذا يمكن القول إن النخب التاريخية الفاعلة على المستوى الفلسطيني تقع في فئتين رئيسيتين: **الفئة الأولى**: وتضم القادة العقائديين وهم مجموعة من المثاليين والطوباويين الذين يسعون جادين لتحقيق أهدافهم وتصوراتهم السياسية بكافة الوسائل والأساليب المتاحة، بما فيها الوسائل الثورية/الراديكالية والعنفية المسلحة، حتى وإن كان ميزان القوى يميل في غير صالحهم.يلجأ هؤلاء إلى العنف المسلح في ظروف مختلفة حتى وإن كانوا في وضع اللااستعداد لإدارة المعركة العسكرية، وما يتزامن معها من استثمار سياسي عقلاني، كما أنهم ينظرون إلى الحرب أو العنف المسلح على أنه رسالة جهادية ماضية إلى يوم الدين. في العادة يسلك أصحاب المدرسة العقائدية المثالية طريق صناعة الأصدقاء وتوسيع دائرة الحلفاء من أجل حسم المواجهة مع العدو عسكرياً، حتى يتسنى لهم قطف ثمار سياسية في وقت أقصر وأسرع. للوهلة الأولى، يتبادر للمرء أن هذه الفئة من الشخصيات الفلسطينية التي مرت فوق صفحات التاريخ الفلسطيني لا تأبه أو تراقب التحولات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي يشهدها العالم من حولهم، وقد تأثرت آرائهم و تصوراتهم عن العالم والكون والحياة والتواصل الإنساني بأيدلوجية دينيه أو قوميه. وفي العادة تنعكس أرضيتهم الاجتماعية والثقافية والدينية في أسلوب عملهم وأسلوب قيادتهم وإدارتهم للمعركة السياسية.(31)

الفئة الثانية تضم الواقعيين العمليين والبراجماتيين، فآرائهم السياسية وتصوراتهم حول القضية الفلسطينية وعملية السلام وطرق المواجهات مع الاحتلال الإسرائيلي ليست ثابتة أو جامدة بل إنها تتغير وتأخذ بعين الاعتبار موازيين القوى الدولية والبيئة الإقليمية وأهمية الرأي العالمي. هذه النخب القيادية تحدد أهدافها بنوع من الدقة المتناهية وتسلك كل الطرق الممكنة وما يتاح لها من وسائل وأدوات لتحقيق هذه الأهداف، فهم براجماتيون ؛ لأن الأهداف والتصورات النظرية التي وضعوها للتنفيذ تتلاءم مع إمكانياتهم وقدراتهم capabilities ، ويدركون الفرق بين الممكن القابل للتنفيذ على أرض الواقع، والطوباوي غير القابل للتنفيذ، وبالتالي تتماشى أهدافهم المعلنة

مع القدرات التي يمتلكونها. ليست لديهم نظرة أحادية ضيقة إلى الوسائل وأدوات الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، فتارة يلجأون إلى العنف المسلح في ظل بيئة استراتيجية مناسبة، وحسابات عقلانية واعية على الأرض، وتارة يحتكمون إلى الدبلوماسية والقنوات السياسية، خاصة عندما تكون مدعومة برأي عام دولي، وتأييد من الحكومات الفاعلة على مستوى العالم[32].

فياسر عرفات قاد العمل العسكري الفلسطيني، والذي أخذ طابع العمليات الفدائية، منذ نهاية الستينيات إلى السنوات الأولى من ثمانينيات القرن العشرين، وبعد الخروج من بيروت لم يتورع من الالتجاء إلى استراتيجية الدبلوماسية المكثفة مستفيداً من علاقاته العربية والدولية. وعندما أدرك أن الدبلوماسية لا تكفي لإحراز نقلة نوعية breakthrough على المسار السياسي، قام بدعم الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والتي تفجرت في العام 1987 كرافعة شعبية ميدانية تتلاقى مع الدبلوماسية الفلسطينية والخط السياسي الذي قادته حركة فتح داخل منظمة التحرير الفلسطينية. مرة أخرى عندما شعر ياسر عرفات بإجحافات اتفاقية أوسلو والظروف الدولية المجحفة التي تزامنت معها، التجأ إلى انتفاضة الأقصى لتحسين الوضع التفاوضي الفلسطيني، أملاً في التوصل إلى تسوية مرضية تحقق الحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطيني.

لا يتردد البرجماتيون الفلسطينيون[33] من إخضاع المثل العليا والمبادئ الأخلاقية السامية والقناعات الدينية للواقع ؛ لأن معركتهم مع الاحتلال الإسرائيلي ليست جهادية ماضية إلى يوم الدين، وليست وجوديه تهدف إلى إنهاء إسرائيل ككيان وكمجتمع، وإنما معركتهم تقوم إلى الظفر بكيانية فلسطينية، ربما على شكل دولة سيادية على أراضي عام 1967 م، تتعايش جنباً إلى جنب مع دولة إسرائيل. وهناك إمكانيات واسعة للتعاون معها في الميادين السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، مشروعهم للدولة الفلسطينية العتيدة يقوم على جعل هذه الدولة جزءا من نظام إقليمي أو نظام كفدرالي يضم أيضاً الأردن وإسرائيل، وبهذا تكون الدولة الفلسطينية قادرة معنوياً وجيوسياسياً على التواصل مع فلسطينيي الشتات في إسرائيل والأردن وفي مناطق أخرى من الشرق الأوسط. ما يميز هذه الفئة من النخب القيادية أنها تسعى بجدية كبيرة للعمل لتحقيق تلك الأهداف القابلة للتحقيق والانتظار حتى الوقت لمناسب من أجل تحقيق ما تبقى من أهداف أخرى.

فياسر عرفات تخلى ولو مرحلياً، عن فكرة قيام دولة فلسطينية من البحر إلى النهر، وتخلى أيضاً عن فكرة واستراتيجية الكفاح المسلح طويل الأمد لهزيمة إسرائيل كلياً، واكتفى بدل ذلك بنوع من المقاومة الشعبية (الانتفاضات الفلسطينية) قصيرة الأمد لتفتح فرص وآفاق جديدة أمام الدبلوماسية الفلسطينية، مستفيداً من الدعم الدولي العام للخطوات السياسية التي قام بها منذ أوسلو وحتى الآن، ومتيقناً أن الحد الأدنى من المطالب الشرعية الفلسطينية يمكن الوصول إليها بأقل التكاليف، عبر القنوات السياسية والدبلوماسية، دون إحراج أصدقائه في العالم. يرى مجيد

البراغماتية والكارزماتية في شخصية ياسر عرفات...

خضوري في تقديم كتابه حول القيادات العربية، إن الزعماء الأقدر على البقاء في الحقل السياسي هم من يمتلكون مرونة كافية ليوازنوا بين الأهداف من جهة وبين القدرات الفعلية المتاحة من جهة أخرى.[34]

ظل ياسر عرفات يرى نفسه على انه رمز للشعب الفلسطيني وهذا واضح في عادة الظهور باللباس العسكري بعيداً عن مظاهر الحياة الخاصة، بما فيها الهوايات ووسائل الترفيه وما إلى ذلك، بالطبع هذا يعكس ثورية دائمة وطغيان الحياة العامة لعرفات على حياته الخاصة حيث احتلت القضية الفلسطينية بكل جوانبها ومظاهرها الجزء الأكبر من وقته، كما أنها سيطرت على عقلة وعلى مجمل تفكيره. هو دائم الاهتمام بإظهار انضباطية والتزام شديدين لأنها قضية كرامة شخصية، لها انعكاسات وتداعيات على أسلوب عمله ، كرئيس وكقائد لذلك اهتم شخصيا بالحاشية المحيطة به لكي تكون منتظمة وملتزمة بعملها وتظهر قدراً من الانضباط والنضوج.

رغم إلمامه بقواعد اللعبة السياسية التي يخوضها مع خصومة وأعدائه إلا انه لا يتردد من كسر قواعد هذه اللعبة إذا شعر أن كرامته امتهنت أو تعرضت لامتحان من قبل خصومة. يحب دائما أن يكون له مكان واضح في التاريخ الفلسطيني المعاصر، ويريد أن يتذكره العالم خاصة أبناء وطنه وجلدته على انه الأب الروحي للثورة الفلسطينية مثلما يستذكر الهنود المهاتا غاندي على انه الأب الروحي للامه الهندية. ومن اجل تحقيق مكانه مرموقة في نظر الفلسطينيين والعرب أبدى عرفات تصميماً ثورياً وفعلاً إرادياً جباراً لاستعادة الأماكن المقدسة التي تخص المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس الشريف. فالقدس بكنائسها ومساجدها وأسوارها وحاراتها وزقاقها كانت دائماً حاضرة و بقوة في خطابات ياسر عرفات وتصريحاته وأحاديثه الصحفية.[35]

لقد أراد الرجل أن يحتل مكانة وجدانية وروحانية في عقول وقلوب الفلسطينيين والعرب والمسلمين عموماً بسبب قربة من المسجد الأقصى وقبة الصخرة، كما انه استهدف الفاتيكان والعالم المسيحي من خلال حضور الاحتفالات السنوية وأعياد الميلاد ولحضور الأماكن المسيحية في خطاباته. رغم القناعة التامة من أن ياسر عرفات كان متديناً ومنتظماً في أداء الصلوات والقيام بالواجبات الدينية المختلفة، إلا أنه كان براجماتياً واقعياً في تعاطيه مع الدين بطريقة ميكافيلية، حيث يخضع الدين في النهاية لحسابات سياسية محضة. في المحصلة النهائية مزج ياسر عرفات في شخصيته بعداً واقعياً معقولاً وآخر كارزماتياً مؤثرا. [36]

ما يميز ياسر عرفات أنه مر بمراحل تحول هامه وسريعة لدرجة أن المرء يمكن أن يقول: إن ياسر عرفات من أكثر الشخصيات العامة في الشرق الأوسط قابلية للتغير والتأقلم. فمن صورة الإرهابي التي صبغته بها وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية في السبعينات والثمانينات إلى صانع سلام وحائز على جائزة نوبل للسلام في التسعينات.[37] شخصية ياسر عرفات الاستثنائية

استمدت خصوصيتها وسر رمزيتها من غبار المعارك العسكرية التي خاضها في غزة والسويس والكرامة وبيروت وفي المقاطعة في رام الله. لم يكن أبو عمار قارئاً للأدب فاهتماماته سياسية بالدرجة الأولى لكنة يدرك أهمية الأدب والفنون في الحياة الفلسطينية فكان يقول الثورة ليست بندقية ثائر فحسب، بل هي أيضاً قلم أديب، وخيال شاعر، وريشة فنان.[38]

وعن شخصية ياسر عرفات المركبة يقول يحيى يخلف: "ياسر عرفات يمثل صيرورة شعب تاريخية للقضية الفلسطينية على مدة نصف قرن بدأت بالنكبة مروراً بمرحلة الإرهاصات والمخاضات العسيرة التي سبقت انطلاقة الكفاح المسلح وانتهاءً بقيادة م.ت.ف والثورة الفلسطينية المعاصرة والسلطة الوطنية، وتحول من زعيم حركة تحرر وطني إلى رئيس دولة. تاريخ حافل بالإنجازات ومواكبة التحولات والتطورات السياسية خاصة أن رياح التغير أطاحت بالعديد من الأيديولوجيات يميناً ويساراً. في هذة الأجواء استطاع ياسر عرفات أن يقود الدفة ويصارع الأمواج، وأن يتكيف مع المستجدات وان يطوع الفكر السياسي نحو الواقعية السياسية،فكان ينحني أحياناً دون أن ينبطح حالما تمر موجة ريح عاتية ثم ما يلبث أن ينهض ليواصل المسير". [39]

عرفات يصنع تاريخا داخل فتح:

تعتبر حركة التحرير الوطني الفلسطيني(فتح) أول حركة سياسية تنشأ بعد النكبة في العام 1948. بالرجوع إلى الأدبيات والدوريات والمصادر والبيانات المختلفة التي صدرت عن حركة فتح بعد العام 1965 يتبين أن البدايات الأولى لهذه الحركة كانت في قطاع غزه وضمت في بداية تأسيسها طيفاً متنوعاً من أفراد وثوار وقادة ينتمون إلى اتجاهات سياسية مختلفة بما فيهم إخوان مسلمون وبعثيون وشيوعيون وقوميون.[40] اعتمدت فتح على أسلوب الكفاح المسلح وممارسته بشكل منتظم من خلال العمليات الفدائية المتتالية والتي أعقبت الانطلاقة إلى أن أصبح نموذجا كفاحيا ونضاليا يحتذى به من قبل الفصائل والمجموعات الفلسطينية الأخرى على المسرح الفلسطيني بعد الانطلاقة.[41]

شكلت فتح الحاضنة الطبيعية لفكر ياسر عرفات وأسلوب عمله وقيادته وطريقته في فهم الاستراتيجية والتكتيك وإدارة الصراع مع المحتل. ومما زاد من أهمية فتح أنها جسدت حلماً فلسطينياً كاملاً لشعب اقتلع جزءاً كبيراً منه وأصبح يعيش في المنافي والشتات. فتح كما يقول هاني الحسن هي الثورة الفلسطينية والكلام عن حياتها الداخلية والخارجية يعني الكلام عن حياة الثورة الفلسطينية، فتاريخ فتح هو تاريخ الثورة الفلسطينية الحديثة وتاريخ الثورة في المحصلة النهائية هو تاريخ فتح. [42] أما أبو إياد فيرى أن أي أزمة داخل فتح تنعكس بشكل أو بآخر على مجموع حركة المقاومة، وان عدم وضوح الخط السياسي لفتح ينعكس بالضرورة عن التنظيمات الأخرى وعلى حركة المقاومة ككل. [43]

في مكان آخر يقول هاني الحسن أن فتح كانت متناقضة في منظومة شعاراتها مع التفكير العربي الكلي، فشعار الثورة الفلسطينية المسلحة الذي يعتمد الحرب الشعبية طويلة الأمد هو نقيض لمفهوم الحرب الخاطفة والنظامية، وشعار تحرير فلسطين يقود إلى الوحدة العربية هو نقيض لاستراتيجية تأجيل واسترداد تحرير فلسطين بانتظار الوحدة العربية أولا. كان مسعى الفلسطينيين أولا وأخيرا رفض محاولة الأنظمة العربية فرض وصايتها وولاية أمرها على الفلسطينيين.[44] مباشره بعد النكسة في العام1967 وبعد الانتهاء من معركة الكرامة في العام 1968، بدأ نجم ياسر عرفات بالسطوع في السماء العربية، وقد اقترن الانتصار المعنوي الكبير في الكرامة مع عفوية طبيعية طيبة قربت ياسر عرفات من الناس ومن القاعدة الشعبية وهذا بالتحديد ما خلق رمزية وكرزماتية ياسر عرفات. فأنت تراه حاملاً لمسدسه أو بندقيته متجولاً في الشوارع وبين الخنادق معانقاً للمقاتلين ومتحدثاً مع عامة الناس، حيث شكل هذا العناق وهذا الحديث الحار شاحن همم ومحفز إرادات.[45]

رؤية ياسر عرفات الكارزماتية تجسدت أكثر في طريقته في استقطاب الناس والمعجبين والثوار من خلال التشبه بهم وبرفع شعاراتهم. لم يضيع ياسر عرفات وقتاً طويلاً في تثقيف الناس وتوجيههم وأدلجتهم بطريقة المحاضرات والدروس وحضور الكتائب الثورية، فبينما كان كثيرون منشغلين بالمناظرات الإيديولوجية والأطروحات الصماء العمياء، وإضاعة الوقت في نقاشات بيزنطية حادة، كان ياسر عرفات يتعامل مع الواقع محاولا فهمه وتغيره تدريجياً. [46]

إن هزيمة 1967 وضعت حداً نهائياً لكافة الأوهام والأساطير والشعارات الرنانه التي رفعها القوميون والثوريون العرب، وقلصت الهزيمة أيضاً وصاية الحكام العرب على الجماهير الفلسطينية، وحدت من قدرة الأنظمة العربية الثورجية من التلاعب بالورقة الفلسطينية. بُعد الهزيمة، تقدمت قياده فلسطينية شابة وواعية لطبيعة الصراع وحيثيات المنازلة مع العدو، وقد برزت هذه الفئة القيادية في أعقاب هزيمة 1967 لتملئ الفراغ القيادي الذي تولد بعد نكبة.[47] لعبت القيادة الفلسطينية دورها التاريخي في توجيه قدرات الشعب الفلسطيني نحو الحرية والتحرير أسوة بالشعوب العربية الأخرى التي خبرت الاحتلال والاستعمار، وأفرزت قيادة وطنية محلية خالصة قادتها نحو الحرية والاستقلال، مستفيدةً من روح الوطنية والعطاء ومن الحاضنة العربية الصديقة التي دعمتها سياسياً ومعنوياً ومادياً في معركة الحرية والبناء الدولاني المستقل.[48]

إن من صميم البراغماتية والواقعية أن تقوم القيادة الفلسطينية بتقييم شامل لتأثير حرب 1967 على المسرح الفلسطيني، وعلى القضية الفلسطينية. ورغم الصورة السلبية التي تشكلت فيها نتائج حرب حزيران 1967 من احتلال لباقي فلسطين والجولان وسيناء، ورغم الهزيمة المريعة للجيوش العربية، مع هذا كان للهزيمة النتائج التالية:1-أزالت الهزيمة الهالة التي كانت الأنظمة

العربية تتمتع بها خاصة القومية منها نتيجة ادعائها بأنها تعمل عل تحرير فلسطين، كل فلسطين؛ 2-أقنعت الهزيمة الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الأخرى بجدوى فكرة الحرب الشعبية طويلة الأمد لمواجهة الوجود الصهيوني، وهي نفس الاستراتيجية التي تبنتها فتح والفصائل الأخرى لخوض المواجه؛ 3- تزعزعت السطوة والقبضة العربية التي كانت تتدخل وتضغط على الساحة الفلسطينية أيديولوجياً وسياسياً وعسكرياً، وهذا بدوره خدم بعض الفلسطينيين مثل ياسر عرفات الذي بدأ يقتنع بضرورة تمثيل وطني فلسطيني للفلسطينيين أينما وجدوا، وفي حماية القرار الوطني الفلسطيني؛ 4- حالة الإحباط العربي العام الناتج عن الهزيمة قربت الجماهير العربية من المقاومة الفلسطينية، كما أن الهزيمة قربت بين الفلسطينيين الساكنين في الضفة وغزة مع التنظيمات الفدائية المختلفة. (49)

احتلت مسألة تحديد الخطوط الفاصلة ما بين توطيد الشخصية الفلسطينية من جهة وبين قومية الانتماء وعروبة القضية من جهة أخرى، والتداخل ما بين الوطني والقومي في النضال الفلسطيني مجالاً واسعاً للنقاش والجدال بين تيارات العمل الوطني الفلسطيني. وقد جاءت الدعوة الاستقلالية الفلسطينية وإبراز الوجه الفلسطيني على العمل لوطني الفلسطيني منذ نهاية الخمسينات بسبب سلبية الموقف العربي، ولغياب أي خطة عربية عملية تعيد إلى الفلسطينيين حقوقهم وعلى رأسها حقهم في العودة. تعززت الدعوة إلى الاستقلالية الفلسطينية نتيجة حدثين هامين وقعا في الوطن العربي في النصف الأول من عقد الستينات، كان أولهما الانفصال الذي حدث بين مصر وسوريا في العام 1961، وفشل التجربة الوحدوية بينهما التي مثلت في بداية نشأتها تكريساً حقيقياً وتجسيداً منطقياً للفكرة الناصرية الوحدوية. هذا الأمر أحبط الفلسطينيين وأنهى آمالاً عريضة بنوها على دولة الوحدة، وقد كان الانفصال بمثابة مبرر آخر اقنع الفلسطينيين من أن فلسطين لن تتحرر إلا بأيدي فلسطينية.

أما الحدث الثاني فكان انتصار الثورة الجزائرية في العام 1962، وما عناه هذا الانتصار من إمكان تحقيق الانتصار على الاستعمار والاستيطان اعتماداً على الذات دون انتظار الدعم الرسمي العربي. في تلك الفترة كانت معاناة الشعب الفلسطيني مضاعفة، فقد عانى من التهجير والتشريد وفقدان البلد والدار، إضافة إلى أن فلسطينيته أصبحت تقابل بحساسية وأحيانا بعداء شديد من الأطروحات العامة التي تبناها النظام الرسمي العربي الذي رأى بالفلسطنة أطروحة قطرية ضيقة تتناقض مع المد القومي الذي كان قوياً وممتداً في جذور الأمة. (50)

ملاحظات هتامية وتوصيات:

ياسر عرفات هو رجل كل المحطات والمراحل التاريخية الهامة، الذي استطاع فعلاً أن يوازن بين شخصين تجسدا في شخصيته: شخصية أبو عمار الثائر، حامل البندقية، التواق إلى

البراغماتية والكاريزماتية في شخصية ياسر عرفات...

زمن الحرية والاستقلال والحالم بشمس جديدة تبزغ فوق بقاع فلسطين، وبين شخصية ياسر عرفات السياسي القادر على عمل حساباته السياسية آخذاً بعين الاعتبار، القدرات الفعلية التي يمتلكها الشعب الفلسطيني وحركته المقاومة، ومدى تلاؤم هذه القدرات الفعلية والكامنة مع طبيعة الأهداف السامية والعظيمة التي يسعى لتحقيقها. كانت دائماً البراجماتية والواقعية وفهم العالم كما هو هي سر القوة الكامنة وراء أفعال وأقوال وتصرفات ياسر عرفات، حيث أظهر نضوجاً سياسياً وهو يعبُر مرحلة تاريخية إلى أخرى.

بعد طفولة قاسية شهدت خسرانه لوالديه، حمل ياسر عرفات البندقية، و هو في مرحلة الشباب ليقاوم الاحتلال و العدوان، مثّل ياسر عرفات في الخمسينات من القرن العشرين الشاب الفلسطيني المندفع، الثائر، الجريء والقادر على المجابهة تحت مختلف الظروف. كانت رؤيته في تلك الفترة نابعة من أن القتال والجهاد وحديهما القادران فعلاً على دحر العدوان و تحرير فلسطين. نضج فكر ياسر عرفات في الستينات لينتقل إلى مرحلة الإعداد والاستعداد لمواجهة المعركة التي تحتم رصد وتفعيل كل طاقات وقدرات الشعب الفلسطيني التي تعرّضت لهزّات عنيفة بفعل النكبة والتشريد. فكانت الانطلاقة للحركة الوطنية المعاصرة التي كان من أولويّاتها تجذير الكفاح المسلح وتعميقه إلى حركة حرب شعبية طويلة الأمد تقودها سواعد فلسطينية، مستفيدة من العمق العربي الشعبي الداعم للفلسطينيين.

في بداية السبعينات، بدأ ياسر عرفات يتيقن يوماً بعد يوم من أن العمل العسكري وحدَهُ لا يكفي لتحرير فلسطين دون وجود برنامج سياسي فاعل وناشط، ودون وجود دبلوماسية ثورية تستثمر تضحيات المقاومة وتخاطب وجدان العالم الخارجي خاصةً في المحيطين العربي والإسلامي، وفي داخل المنظمات الدولية والإقليمية وعلى رأسها الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الإفريقية. بعد الخروج من بيروت في العام 1982، أخذت قناعة ياسر عرفات الشخصية تختمر أكثر وأكثر وكان مفادها أن الحل للصراع هو سياسي في النهاية يتطلب جهداً سياسياً مقنعاً، فكان الاتفاق الأردني-الفلسطيني في العام 1985 والنجاح في فتح قنوات حوار واتصال مع الإدارة الأمريكية في عام 1988، وفي وقتٍ لاحق انتقل إلى العمل المفاوض المباشر مع الإسرائيليين في مرحلة ما بعد أوسلو من العام 1993.

نظرياً، عند الحديث أو عند الكتابة عن منظومة فكرية مناسبة أو تناول إطار نظري ملائم للوضعية الفلسطينية، خاصةً في ظل الظروف المأساوية التي مر بها الشعب الفلسطيني، وفي خضم تصارع الأحداث والتطورات السياسية منذ انطلاقة انتفاضة الأقصى، سرعان ما يكتشف الباحث أو الدارس أن دراسة النخبة السياسية الفلسطينية من حيث خصوصيتها وطبيعتها وطريقة تشكيلها أصبحت هامة وحاسمة ؛ لأن النخبة هي التي تقود الحرب وتصنع السلام وتؤثر في المستقبل. إن

العوامل الهامة والداخلة في عملية صنع النخب وتشكيلها في فلسطين تظهر الامتداد الطبيعي لهذة النخب مع مثيلاتها في العالم العربي سواء على الصعيد الرسمي أو الغير رسمي، فالتاريخ والجغرافيا والثقافة السياسية والبعد الحضاري ربطت فلسطين بالعالم العربي قلباً وجسداً وروحاً. لكن عند التعمق في دراسة وتحليل الحالة الفلسطينية، سرعان ما يتكشف للجميع خصوصية واستثنائية النخب الفلسطينية النابعة أصلاً من استثنائية القضية الفلسطينية، ومن استثنائية النظام السياسي الفلسطيني الناشئ الذي ما زال ينمو ويكتسب مظاهره العامة في ظل غياب دولة سيادية على الأرض الفلسطينية.

في السياق الغربي، ازدادت الاهتمامات البحثية والأكاديمية بموضوع دراسة النخب السياسية وكيفية تأثيرها في صنع السياسة وتوجيه الاقتصاد وبيان قدرتها في التأثير على مجمل الأحداث والتطورات المجتمعية في الغرب. أفرزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسارات تحول جديدة في الدراسات الإنسانية والاجتماعية بما فيها العلوم السياسية والعلاقات الدولية والنظم السياسية المقارنة. ففي خضم الثورة السلوكية وما بعد السلوكية، بدأ تحول حقيقي وملموس في دراسة المؤسسة السياسية الغربية من خلال الرجوع إلى النخب وصناع القرار، بحيث تم دراسة مصالحهم وأدوارهم، وما يمتازون به من خصائص سلوكية وفكرية وحتى عواطفية وشهوانية.

من الصعوبة بمكان وضع ياسر عرفات في مدرسة نظرية، سواءً أكانت غربية أو غير غربية؛ لأن نخبويته ورمزيته وقيادته تضمنت عناصر ومكونات متعددة. من الضروري في الدراسات السلوكية والنخبوية أن يتم التركيز على البيئة العامة بمظاهرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسانية والثقافية ؛ لأن الإنسان في النهاية هو ابن البيئة التي أنتجته وصقلت عقليته وذهنيته، ووجهته حينما نمت الاجتماعي في شخصيته. ياسر عرفات هو أيضا نتاج البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية ونتاج للظروف العامة الشاملة التي تزامنت مع القضية الفلسطينية بمختلف محطاتها ومعابرها ومفاصلها التاريخية. ورغم أن ياسر عرفات اكتسب خبرة ومقدرة عالية من البيئة والظروف التي عايشتها القضية الفلسطينية، لكنه أيضا امتلك قدرات تنظيمية وإدارية عالية (موسكا) خاصةً في إدارته لمؤسسات م.ت.ف ومؤسسات فتح والسلطة الوطنية الفلسطينية. فكان دائماً صمام أمان يوازن بين تناقضات مختلفة ويدير صراعات مصالحية وأيدولوجية بما فيها الصراعات داخل فتح التي لم تتبنَ أيدولوجيه معينة، بقدر ما رفعت برنامج سياسي/ نضالي اعتمد على المرحلية. فكارزما ياسر عرفات ورمزيته ومحورية دوره كانت دائماً المحرك الأساسي لفكر فتح وخطواتها السياسية، وظلت كارزما ياسر عرفات هي وحدها القادرة لاستيعاب وهضم التناقضات بين أجنحة فتح وأقاليمها ومصالح قيادتها.

البراغماتية والكارزماتية في شخصية ياسر عرفات...

كما أن ياسر عرفات امتلك قسطاً وافراً من القدرات النفسانية والانضباط الشخصي والتحمل والصبر والذكاء، وكان ذلك مفيداً جداً في المواقف الصعبة التي تتطلب شخصية من حديد، فالأزمات المتعددة التي مر بها عرفات على الصعيد الشخصي وعلى صعيد القضية الفلسطينية، خلقت منه شخصية صبورة، منضبطة وقادرة على تحمل المشاق والصعاب (باريتو). فالذكاء والدهاء والجرأة ساعدت ياسر عرفات لعبور أزمات قاتلة في عمان وبيروت والمقاطعة في رام الله. في الختام يمكن القول: إن ياسر عرفات لا يحتاج إلى إطار نظري ليتم إسقاطه على شخصيته من أجل فهمه وفهم السر وراء خطواته السياسية؛ لأنه هو نفسه مثل مدرسة فكرية ونظرية مستقلة اشتقت مفرداتها ومتغيراتها من سيرته الشخصية وتاريخه النضالي.

بناءً على ما سبق من عرض لأفكار وتحليل لمواقف، يستطيع الباحث أن يقدم **التوصيات التالية:**

1. ضرورة خلق و تطوير إطار نظري و مفاهيمي جديد يناسب النخبة السياسية الفلسطينية، هذا الإطار يعكس الخصوصية الفلسطينية كحركة مقاومة وطنية وفي ظل غياب دولة سيادية.
2. المطلوب جهد أكاديمي وبحثي فلسطيني فاعل و نشط لتغطية أغلب جوانب شخصية ياسر عرفات، خاصة أن الأدبيات المتعلقة بياسر عرفات كشخصية وقائد ما زالت قليلة وغير منتظمة، وما زال العديد من الباحثين والدارسين المهمتين بهذا الموضوع يعتمدون على أدبيات ومصادر إسرائيلية وغربية.
3. من الأهمية بمكان جمع كل الأدبيات والكتب والدوريات والمراجع والمصادر التي تناولت وكتبت شيئاً عن ياسر عرفات وتبويبها وتصنيفها بالشكل الواضح، ووضعها في مكتبة وطنية عامة بحيث تكون متوفرة بسهولة لجمهور الباحثين والدارسين والخبراء.
4. وبما أن ياسر عرفات لم يمتلك ملكة الكتابة أو لم يكن لديه الوقت الكافي لفعل ذلك، هذا يحتم أهمية جمع كل الشهادات و المواقف من أولئك الذين كانوا قريبين منه، سواء في ميادين المعارك أو في المحافل السياسية. بالطبع جمع هذه الشهادات وتوثيقها بالشكل العلمي الصحيح يتطلب خبرات ممتازة في التاريخ الشفوي تكون قادرة على جمع الشهادات وتصنيفها وتحليلها والتعقيب عليها.
5. أهمية أن تكون مقتطفات هامة ورئيسية من سيرة الرئيس الراحل جزءاً من مساقات القضية الفلسطينية أو الدراسات الفلسطينية أو أي مساقات أخرى ذات صلة بهذا الموضوع؛ لأنه من الضروري بمكان أن تتذكر الأجيال الفلسطينية ياسر عرفات وهي داخل غرف المحاضرات والورشات العلمية حتى يتسنى لها الوقوف على مختلف جوانب شخصية ياسر عرفات وملامح قيادته.

6. تطوير مواقع على الإنترنت تحمل اسم ياسر عرفات ليس فقط باللغتين الإنجليزية والعربية، وإنما أيضاً باللغات الرئيسية الأخرى في العالم، خاصةً أن هذا الرجل اكتسب شعبية وسمعة طيبة جداً بين أوساط شعوب الأرض. ليس فقط تأسيس مواقع الإنترنت وإنما أيضاً أن تكون ذات طبيعة جيدة بحيث تحمل فوق صفحاتها تاريخ ياسر عرفات، خطاباته، تصريحاته والتحليلات المختلفة المقدمة من الخبراء المختصين بسيرته الذاتية، كذلك الكتب والمصادر التي تعرضت لأي جزئية من حياته.
7. تأسيس أكاديمية ياسر عرفات للعلوم السياسية والدبلوماسية بحيث تكون الحاضنة المؤهلة لتطوير قدرات الدبلوماسيين والباحثين الناشئين والدارسين، تكون هذه الأكاديمية مرتبطة مع إحدى الجامعات الفلسطينية أو أن تكون جزءًا من وزارة الخارجية الفلسطينية، يُدرس فيها مساقات عن القضية الفلسطينية وعن حياة الرئيس الراحل.

الهوامش والمراجع

1. احمد خليفة (محرر)، عرفات كقائد، فتح كتنظيم، ومسيرة الثورة الفلسطينية في حوار صريح مع شفيق الحوت، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت خريف 2004/ شتاء 2005، عدد 60/61، ص7.
2. ميخائيل سليمان (محرر): فلسطين والسياسة الأمريكية من نيلسون إلى كلينتون (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996)، ص.333.
3. مصدر سابق، ميخائيل سليمان، ص.334.
4. Alvin Rubinstein (ed.) ، The Soviet and the Chinese Influence in the Third World ، (New York: Prager Publishers، 1975) P.22.
5. انطونيو روبي، مع عرفات في فلسطين تاريخ العلاقات الفلسطينية–الإيطالية (ترجمة) مجير الأحمد (رام الله : وزارة الثقافة الفلسطينية، 1998) ص. 47–50.
6. عماد غياظة، الحركة الطلابية الفلسطينية الممارسة والفاعلية (رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2000) ص.24.
7. عماد غياظة، المصدر السابق، ص. 31–71.
8. عماد غياظة، المصدر السابق، ص. 20.
9. محمد حمزة، أبو جهاد أسرار بداياته وأسباب اغتياله (صفاقس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1989). انظر أيضا، لوري براند، الفلسطينيون في العالم العربي، بناء المؤسسات والبحث عن دولة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991). وأيضا، شحادة موسى، حول الاتحاد العام لطلبة فلسطين، شؤون فلسطينية، العدد 5 ، 1971.

10. أنطونيو روبي، مصدر سابق، ص. 91-114.
11. بلال الحسن، عرفات ما قبل مدريد: القوانين التي حكمت مسيرته السياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت: خريف 2004-شتاء 2005، عدد 61/60، ص.34-37.
12. ممدوح نوفل، عرفات من التطرف إلى الواقعية، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، خريف 2004-شتاء 2005، عدد 61/60، ص.38-39.
13. Harold Lasswell، Politics، Who Gets What، When، How
14. (Cleveland، New York: Meridian Books، 1995)
15. حسن نافعة، مبادئ العلوم السياسية (القاهرة: مكتبة الشروق، 2002)
16. Geraint Barry، Political Elites(London: George Allen and Unwin, 1971.
17. G. Mosca، The Ruling Class، (New York، Mcgraw Hill، 1939)
18. V. Pareto، The Rise and Fall of Elites، (New York: Arno Press، 1979) .
19. T. Wright Mills، The Power of Elites (London: Oxford University Press، 1959) .
20. Joseph Schmupeter، Capitalism، Socialism and Democracy (London:Allen and Unwin، 1959). See also Robert Dahl، Who Governs (New Haven: Yale University Press، 1961).
21. محمد مراد، النخب والسلطة في المشرق العربي المعاصر، دراسة في التشكيل البنائي الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1996) ص9-17.
22. محمد مراد، مصدر سابق، ص10.
23. محمد صبور، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 1992) انظر أيضا:
J.A. Bill، Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East، International Journal of Middle East studies، No.3 ، 1972.
24. حليم بركات، المجتمع العربي، بحث استطلاعي اجتماعي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986).
25. مايسة الجمل، النخبة السياسية المصرية، دراسة حالة النخبة الوزارية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998).
26. محمد عابد الجابري، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، المستقبل العربي، كانون ثاني 1993، العدد 167، ص4-15.

27. جميل هلال، تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة، (رام الله: مواطن، 2002).
28. حسن خضر، خصوصية نشوء وتكوين النخبة السياسية الفلسطينية ، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، 2003.
29. ظهرت دراسة برنارد سابيلا حول النخبة الفلسطينية على موقع:
www.yahoo.com/political elites
30. سابيلا ، نفس المصدر السابق
31. جون والاش وجانيت والاش، الفلسطينيون الجدد، الجيل الناشئ من القادة، ترجمة: هيثم حجازي (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994).
32. يمكن القول إن الحاج أمين الحسيني ينتمي للمدرسة العقائدية المتطرفة حيث مزجت نخبويته بين العائلة و الدين والبعد الوطني، انظر بهذا الخصوص، مجيد خضوري، عرب معاصرون أدوار القادة في السياسة (بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1973) ص129-162.
33. للتعرف أكثر على أطروحات المدرسة الواقعية في السياسة، انظر، مجيد خضوري، صدر سابق، ص197-230 ، 343-369 .
34. تعرف البراجماتيه على أنها التفكير بطريقة عملية في تناول الأشياء والقضايا والحلول للمشاكل، ودائماً يكون الاهتمام بالنتائج الملموسة على الأرض بعيداً عن النظريات والمبادئ المثالية الطوباوية، انظر http://Encarta.msn.com كما أنها تعرف على أنها المنهج العملياتي للمشاكل والقضايا المختلفة، بحيث تجمع بين الأهداف النظرية من جهة والقدرات من جهة أخرى، نبعت البراجماتية أساساً من حركة أمريكية في الفلسفة نادت بضرورة اختبار المفاهيم والحقائق الثابتة على أرض الواقع وأن تكون قابلة للتطبيق ، انظر:
http://www.m-w.com
35. مجيد خضوري، مصدر سابق، ص18-23.
36. Shaul kimhi, Shmeul Even & Jerrold Post, Yasser Arafat Psychological and Strategic Analysis at: http://www.ict.org.il/articles/yasir-Arafat-html
37. تعرف الكارزماتية على أنها جاذبية شخصية تُمكن الفرد من التأثير على الآخرين .http://www.wordreference.com
كما أنها تعرف على أنها صفة شخصية فريدة من نوعها يمتاز بها القادة و صناع القرار السياسي حيث يتمتعون بحماس شعبي منقطع النظير، انظر:
http://www.answer .com/topic/charisma.

38. Said Aburish، Arafat from Defender to Dictator London: Bloomsbury, 1998) P.2

39. يحيى يخلف، شيء من سجاياه، مجلة الأسوار للأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية الوطنية، عدد 27، مؤسسة الأسوار، عكا، 2005. ص41.

40. يحيى يخلف ، مصدر سابق، ص40.

41. جيرار جاليان، المقاومة الفلسطينية(بيروت: دار الطليعة، 1970) ص72.

42. توفيق أبو بكر، ياسر عرفات كما عرفته، صامد الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، عدد 139-140، كانون ثاني-حزيران 2005 ص23-26.

43. هاني الحسن، فتح بين النظرية و التطبيق، الإطار النظري، شؤون فلسطينية، بيروت

44. عدد 7، آذار 1972، ص9.

45. مقابلة مع أبي أياد، شؤون فلسطينية، العدد 5، تشرين ثاني1971، ص28-29.

46. هاني الحسن، مصدر سابق، ص11-12

47. معن بشور، أبو عمار كان مدرسة، صامد الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، العدد 139-140، كانون ثاني- حزيران 2005 ص157-159.

48. أحمد خليفة(محرر)، مصدر سابق، ص9.

49. حسن أبو طالب، عرفات ومصر... الهوى المتبادل، صامد الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، العدد 139-140، كانون ثاني-حزيران 2005 ص153-156.

50. حسام الخطيب، في التجربة الثورية الفلسطينية (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1972) ص37.

51. William Quandt, A Decade Of Decisions: 1967-1976 (Berkley: University Of California،1977) P.37-71

52. شفيق الحوت، الفلسطيني بين التيه والدولة، بيروت، بلا ناشر، 1977، ص29.